الأستاذ مصطفى صادق الرافعي

الشاعر والعالم والأديب والمؤرخ والمفكر الإسلامي، شيخ الأدب العربي بلا منازع وحارس لغة القرآن الكريم وكاتب من الطراز الفريد، كان حجة في علوم اللسان، ثقةً في فنون الأدب، عليماً بأسرار اللغة، بصيراً بمواقع اللفظ، خبيراً بمواضع النقد، محيطاً بمذاهب الكلام.

هو مصطفى صادق بن عبدالرازق بن سعيد بن أحمد بن عبدالقادر الرافعي، ولد في قرية بهتيم إحدى قرى محافظة القليوبية في 1 يناير سنة 1880م لأبوين سوريين وفدت عائلته من طرابلس الشام إلى مصر واشتغلوا في القضاء على مذهب الإمام أبي حنيفة النعمان حتي وصل الأمر أن اجتمع منهم في وقت واحد أربعون قاضياً في مختلف المحاكم المصرية وقد تنبه اللورد كرومر لذلك وأثبتها في بعض تقاريره إلى الخارجية البريطانية ويتصل نسب أسرته الكريمة بعمر بن عبدالله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

كان الشيخ عبدالرازق سعيد الرافعي قاضياً شرعياً ورئيسا لكثير من المحاكم المصرية وهو واحداً من أحد عشر أخاً اشتغلوا كلهم بالقضاء واستقر في طنطا وشغل منصب رئيس المحكمة الشرعية بها وفي طنطا نشأ مصطفى وإخوته لا يعرفون غيرها فاستقروا بها منذ نعومة أظفارهم، أما والدته فهي السيدة أسماء الطوخي واصلها من مدينة حلب بسوريا وكان والدها تاجراً تسير قوافله بالتجارة بين مصر والشام .

وهكذا نشأ على حب الأدب العربي حتى أصبح صدره خزانة أدب وبلاغة وتخرج في علوم اللسان والشريعة على أبيه، حتى حذق العربية وفقه الدين، وكان حنفي المذهب ولكنه درس المذهب الشافعي وكان يعتد به ويأخذ برأيه في كثير من المسائل ولم يحصل الرافعي في تعليمه النظامي على أكثر من الشهادة الابتدائية.

ولما بلغ السابعة عشرة من عمره أصابه مرض التيفود واستفحل به المرض وبسببه تأثرت حاسة السمع لديه حتى فقد سمعه نهائيا وأصيب بالصمم في الثلاثين من عمره، وكاد المرض يأخذ صوته ولكنه لم يفعل وترك بحة في صوته لازمته طوال عمره، ولم يمنعه المرض من نبوغه فكان الرافعي واسع الطموح شديد الاعتداد بالنفس عظيم

الهمة، فاندفع يقرأ في أمهات التراث الأدبي والديني، مستعيضا عن نعمة السمع بنعمة النبوغ، فاستظهر (نهج البلاغة) قبل أن يبلغ العشرين، وكان من فطاحل الشعر فصدر ديوانه الأول وهو في الثالثة والعشرين.

كما عمل الرافعي كاتبا في محكمة طلخا الشرعية عام 1899م بمرتب شهري أربع جنيهات، وانتقل بعد ذلك إلى محكمة إيتاي البارود الشرعية، ثم استقر به المقام في محكمة طنطا الأهلية وظل بها إلى يومه الأخير، ولم يكن انتظامه في العمل مرضيا عند رؤسائه، لكن الأدب وتاريخ الأسرة القضائي كانا شافعيْن له في الاستمرار في الوظيفة.

ومن مؤلفاته :

وحي القلم، تاريخ آداب العرب، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، تحت راية القرآن، المساكين، على السفود، وديوان النظرات، السمو الروحي الأعظم والجمال الفني في البلاغة النبوية، رسائل الأحزان، حديث القمر، السحاب الأحمر، أوراق الورد، النشيد الوطني المصري، واسلمي يا مصر.

توفي مصطفى صادق الرافعي في يوم الأثنين 10 مايو سنة 1937م عن عمر يناهز 57 عاماً ، حيث استيقظ مصطفى الرافعي لصلاة الفجر، ثم جلس يتلو القرآن الكريم وشعر بألم في معدته فتناول دواء، ثم عاد إلى مصلاه ومضت ساعة ثم نهض وسار لكنه سقط في البهو على الأرض، ولما هب أهل الدار لنجدته، وجدوه قد أسلم الروح إلى بارئها، ودفن في اليوم نفسه بعد صلاة الظهر إلى جوار أبويه في مقبرة العائلة بطنطا.

ومن تلاميذه الأستاذ محمد سعيد العريان والذي ألف عنه كتاباً باسم (حياة الرافعي) ويقول في مقدمته عن الرافعي :

(لقد عاش غريباً ومات غريباً، فكأنما كان رجلاً من التاريخ بعث في غير زمانه ليكون تاريخاً حيا ينطق بالعبرة ويجمع تجاريب الأجيال، يُذكر الأمة العربية الإسلامية بماضيها المجيد ثم عاد إلى التاريخ بعدما بلغ رسالته ... لقد خفت الصوت ، لكنه خلف صداه في أذن كل عربي وفي قلب كل مسلم) .

ومن روائع شعره :

جافيتني والذنب ذنبك		وظلمتني فالله حسبك
ما بال قلبك لا يرق		أمن صميم الصخر قلبك
وبخلت حتى بالرسائل		خوفَ أن تشفيه كتبك
وضننت حتى بالعتاب		وربما يكفيه عتبك

وهو القائل :

بلادي هواها في لساني وفي دمي		يمجُدها قلبي ويدعو لها فمي
ولا خير فيمن لا يحبُ بلادهُ		ولا في حليف الحب إن لم يتيم
ومن تؤوه دارٌ فيجحدُ فضلها		يكن حيواناً فوقه كل أعجم
ألم ترَ أن الطير إن جاء عشهُ		فآواهُ في أكنافه يترنم
وليس من الأوطان من لم يكن لها		فداء وإن أمسى إليهن ينتمي

***